مراحل الفتح الإسلامي لبلاد المغرب

مقدمة:

بعد فتح العراق والشام ومصر، تطلع المسلمون نحو بلاد المغرب وهي الامتداد الجغرافي لمصر، حيث كانت مصر في يد المسلمين من عام 21هـ في عهد الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب، ليبدأ المسلمون مسيرة فتح المغرب من غرب مصر لإدخالها في دين الإسلام والقضاء على الروم الذين يشكلون خطراً على مصر بها، في هذا المقال نعيش مع الفاتحين المسلمين مراحل الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، والحملات التي قاموا بها للوصول إلى نهايات تلك البلاد وإخضاعها للإسلام.

المرحلة الأولى.. المرحلة الاستكشافية في عهد عمرو بن العاص

بعد فتح مصر أصبح عمرو بن العاص واليها الأول، وقد تطلع عمرو إلى تأمين حدود مصر الغربية، والبدء في استكشاف طريق المغرب وفتح تلك البلاد وجعلها في حوزة المسلمين، وبالفعل أرسل عمرو إلى الخليفة عمر بن الخطاب في المدينة المنورة يستأذنه بالمسير إلى المغرب إلا أن الخليفة رفض بحجة أن المسلمين لم يألفوا هذه البلاد وقد تكون حملة محفوفة بالمخاطر فآثر السلامة.

ولكن بعد استشهاد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وتولى الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه، استأذن عمرو الخليفة عثمان الذي أذن له وبالفعل توّغل عمر بحملته العسكرية حتى طرابلس ولكنه قبفل راجعاً بعد هذه الحملة والتي كانت مجرد استكشاف لهذه البلاد.

المرحلة الثانية.. بداية الفتح وموقعة سبيطلة الكبرى

بدأت الفتوحات لبلاد المغرب في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، حيث أمر واليه على مصر عبد الله بن سعد بن أبي السرح بتجهيز حملة لتصل إلى أفريقية وهي تونس الحالية، وبالفعل نجحت الحملة الإسلامية بفتح بعض البلدان في الساحل الليبي حالياً حتى وصلت إلى نقطة تمركز الجيوش البيزنطية الرومانية في أفريقية وهي سبيطلة، وانتصر المسلمون في أولى المعارك الكبرى في بلاد المغرب وقتل فيها القائد البيزنطي جريجوريوس على يد عبد الله بن الزبير الذي كان له الفضل الكبير في النصر، ولم يستمر عبد الله بن سعد في هذه الحملة حيث رجعت من هذه البلاد إلى مصر سريعاً لمحاربة النوبة التي غزت مصر من الجنوب.

المرحلة الثالثة.. فتح بلدان تونس الواحدة تلو الأخرى

بدأت مرحلة التثبيت بعد انتهاء فترة الفتنة الكبرى الإسلامية، فبعد تولي معاوية بن أبي سفيان الخلافة بدأت مسيرة الفتوحات شرقاً وغرباً، حيث قام معاوية بتعيين قائد للجيوش في الغرب وهو معاوية بن حديج الكندي والذي قام بالوصول إلى منطقة القيروان وبنى معسكراً فيها وكان من ضمن جيشه سرية يقودها عبد الله بن الزبير الخبير بشؤن الحملات في المغرب، واستطاعت السرية بفتح العديد من المدن مثل بنزرت وقابس وسوسة، ونجحت سرية أخرى بقيادة عبد الملك بن مروان بفتح حصن من أهم الحصون في أفريقية وهو حصن جلولا وذلك بعد معارك عنيفة.

المرحلة الرابعة .. محاولة استقرار الفتوحات

بالرغم من المراحل السابقة إلا أنها كانت كر وفر، وفتح للمدن والاستقرار في سرية فيها وسرعان ما يفقد المسلمون بعض من هذه المدن، حتى جائت حملة عقبة بن نافع للمغرب وهو من هو، فهو قائد خبير في شئون الحملات المغربية، واكتسب خبرات رائعة منذ فتح مصر ومنذ الحملة الأولى بقيادة عمرو بن العاص وله قاعدة شعبية في برقة غرب مصر وفي طرابلس وغيرها من القواعد الصحراوية مثل فزان والواحات المجاورة، لذلك أختير للحملات في هذه المرحلة، وبالفعل قاد الجيوش نحو تونس ونجح في عمل استراتيجية للفتوح ببناء مدينة إسلامية في وسط إفريقية تكون عاصمة للمسلمين هناك وهي مدينة القيروان.

المرحلة الخامسة .. مرحلة الاضطراب في الفتح وبطئ العمليات العسكرية

بسبب عزل عقبة بن نافع، بدأت الفتوحات تشهد العديد من الاضطرابات العسكرية، وذلك بعد تولي أبي المهاجر دينار ولاية القيروان، وبالرغم من نجاحات أبي المهاجر في فتح المغرب الأوسط (الجزائر الحالي) مثل مدينة الجزائر وتلمسان وغيرهما إلا أن الفتوحات شهدت بطئاً شديداً ولم ينتهي هذا البطء إلا بعد تولي عقبة مرة أخرى.

في عهد يزيد بن معاوية الذي تولى الخلافة بعد أبيه، تولى عقبة بن نافع مرة أخرى ولاية المغرب وقد بدأت مرحلة مؤقتة من النجاحات في فتح المغرب الأوسط، حيث نجح عقبة سريعاً في فتح هذه البلاد وتوغل فيها متحدياً الأخطار الكبيرة حتى وصل بقواته إلى المحيط الأطلسي، ولكن هذه الفتوحات لم مؤمنة بشكل كافي وعانت حملات عقبة وأبي المهاجر الذي ساعده في هذه الفتوحات وتم استشهاد عقبة وأبي المهاجر بعده في ضرب قوية لهذه الفتوحات السابقة.

المرحلة السادسة.. مرحلة إنقاذ ما يمكن إنقاذه

بسبب الحملات التي تعرضت للانتكاسات المختلفة، وضع المسلمون خطة لمحاولة ما يمكن إنقاذه، حيث عينت الخلافة زهير بن قيس البلوي وبدأ في المسير لقتال البربر الذين واجهوا عقبة وأبي المهاجر من قبل، وقد نجح زهير في إنقاذ بعض الحصون والمعاقل ولكنه تعرض لكمين تم اغتياله فيه، وبعد استشهاده شهدت المغرب مرحلة أخرى هامة للغاية.

المرحلة السابعة.. الفتح الحقيقي لبلاد المغرب

يبدو ان كل هذه المراحل لم تكن إلا تمهيد لهذه المرحلة الهامة، حيث نجحت قوات حسان بن النعمان وهو قائد الجيوش الجديد في بسط نفوذها على المغرب الأوسط، وذلك بعد مواجهات عنيفة مع قوات الكاهنة وهي زعيمة قبيلة جراوة.

في بداية الأمر انهزمت قوات حسان وتراجعت نحو طرابلس، ثم نجحت بعد خمسة أعوام كاملة من المواجهات في إضعاف قوات الكاهنة بل والانتصار عليها وقتلها، وذلك بدأت البلدان تقع الواحدة تلو الأخرى ويدخل البربر في الإسلام، وبدأت مرحلة جديدة من التدعيم.

المرحلة الثامنة والأخيرة.. مرحلة تدعيم المكاسب

وكانت هذه المرحلة بطلها الرئيسي موسى بن نصير الذي أكد الفتوحات المغربية ونجح في فتح بلاد المغرب الأقصى والسوس وأصبحت المغرب في عهد حملاته في حوزة المسلمين، بل نجح موسى بالتقرب لأهل البلاد من البربر واختار منهم طارق بن زياد ليكون نائبه في المغرب الأقصى.

وقد مهد موسى بن نصير لحملات جديدة في الأندلس (إسبانيا – البرتغال) الحالية بعد إنهاء الحملات العسكرية للمغرب.

كانت الفتوحات الإسلامية في المغرب لها أهمية خاصة في التاريخ الإسلامي لأنها كانت فاتحة وصول الإسلام إلى بلدان وأصقاع بعيدة عن الموطن الأصلي للمسلمين وكانت بداية لتعرف البلدان الأخرى على الإسلام وانتشار رقعته.